

كلبهم أفضل من الإنسان!!

شرحتُ لكم أموراً تتعلق بحرب الخليج وخلفياتها، لنفهم لماذا يدخلون الحرب. وما لم نتفهمها تماماً فلن يكون بوسعنا حقاً صنع خريطة جديدة للعالم. والموقف الراهن هو أن الجهد المبذول لإقرار السلام قد تسارع فجأة، ويرتبط بذلك مصلحتان لأمریکا. فقبل الشروع في الهجوم الجوي تركوا في العالم انطباعاً بأننا قدّمنا مراراً لصدام حسين اقتراحات معقولة، ونريد أن نقرّ السلام، ولا نريد الحرب؛ ولكن انظروا كيف يرفضها رفضاً متواصلًا. وتوشك الحرب أن تدخل في مرحلة أخرى، فيها خطورة شديدة على القوات المتحالفة من بعض النواحي. فهم، وإن كان لهم التفوق المادي والقدرة على إصابة العراق بأشد الضرر.. لكنهم قد يتعرضون لخسارة كبيرة في الأرواح. فشرعوا في هذه المرحلة يذيعون حملتهم الدعاية مرة ثانية لكسب ميزتين: الأولى: إذا كان ثقل الخسائر العراقية يصيب صدام حسين بالفزع، ويثير الرأي العام في العراق ضده لأهم قاسوا ما يكفي من الدمار، ويحبون إهاء الأمر وقبول مطلب الانسحاب من الكويت.. فبذلك يكون هدفهم من تدمير قوة العراق قد تحقق. والثانية: في نفس الوقت تتحرر الكويت، وينقذون أرواح الأميركيان التي يخشون فقدانها. وعند هذه المرحلة أرسلوا إلى بغداد بمبعوثيهم من الدول التي سوف تعرض الأمر هكذا: كل ما عليك هو الانسحاب من الكويت فينتهي النزاع. يجب ألا تصرّ.. فقد نلت ما يكفي من الدمار.

ولكن الموقف الحقيقي ليس كذلك. لقد ذكرت من قبل أن هذا كذب. كان موقفه دائما: إن هجومي على الكويت عمل عدواني، ولكن ثمة أعمال عدوانية أخرى وقعت من إسرائيل على البلاد الإسلامية، ولا يزال احتلالها قائماً بالرغم من أن الأمم المتحدة ومجلس الأمن قد أصدرتا قرارات متكررة تدين الاحتلال الإسرائيلي وتصمه بعدم الشرعية. فإذا كنتم حقاً ترغبون في السلام فلتكن هناك مناقشة لكل هذه الأمور. ليس مسألة الكويت فحسب، بل ينبغي النظر في أمر تحرير الكويت، وأيضاً تحرير الأراضي المحتلة.. كي ينتهي هذا الموضوع الذي لم يزل مصدر فظائع منذ زمن طويل.

تعليمات أمريكة صارمة

وما برحت أمريكا ترفض ذلك بشدة حتى إنها كانت تعطي تعليمات صارمة بشأن هذا الرفض لكل مبعوث كي يضغط على العراق، بل حمل السكرتير العام للأمم المتحدة بيريز دي كولار تعليمات بالألا يبدأ أي بحث حول هذا الموضوع، ولا يربط أبداً بين مشكلة فلسطين والكويت في المباحثات.. لأنهم لو بدأوا بحث الموضوعين سوياً لانكشف الخداع الأمريكي، وهذا يخلق مشكلة سيكولوجية لأولئك العرب الذين يساندون أمريكا. ترفض أمريكا أن تضغط على إسرائيل للانسحاب، بينما تصر على العراق بالانسحاب. إنه خداع وظلم مفضوح يصعب بعده على أية حكومة مسلمة أن تستمر في مساندتهم. ولكن سبب تأييد الحكومات الإسلامية لهم سوف يبقى كما هو، وسأتناوله فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وفيما يتعلق بالملام، فلا نستطيع إلقاء المسؤولية على طرف واحد. الموضوع طويل جداً، وسأخذ مزيداً من الوقت لشرحه. بيد أني أشعر بأن الله وحده يعلم كيف ومتى تنتهي هذه الحرب، ولكنها عندما تنتهي لن تنتهي المشاكل، بل سوف تزداد. وأول ما تبين من نتائج هذه الحرب هو موضوع الآية القرآنية: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾.. أي رمت الأرض بمصاعبها ومشاكلها المتعلقة بالشرق الأوسط. بل وخرجت جليّة أمام عيون الدنيا جميع المشاكل العالمية المشابهة. كيف ستكون خريطة العالم الجديد؟ وماذا ستكون العلاقات بين الدول الكبرى والصغرى في هذه الخريطة الجديدة؟ وما الدور الذي ستلعبه الأمم المتحدة، إذا كان باستطاعتها أن تؤدي دوراً محددًا؟ من يملك السيطرة على ثروات النفط، وكيف يكون التصرف فيها؟ كل هذه الأمور وأمثالها تواجه العالم اليوم. وسواء تقوم حرب هناك أم لا، وسواء تنتهي الحرب أم لا.. فسأمضي في موضوعي حول مشاكل العالم المستمرة.

صدام مسؤول

أما مسؤولية الحرب فأشعر أن الرئيس صدام يتحمل بالتأكيد مسؤولية مهاجمته للكويت، وكان متسرعاً في هجومه. ونتيجة لذلك أساء إلى سمعته الشخصية وسمعة العراق أيضاً. وكان أعظم الأضرار وقوعه في فخ نصبه له العدو. هناك جدل حول هذه المسألة عمن هو المسؤول؟ فأهل الفكر والمتفكرون من الفئة العليا.. من أمريكا نفسها.. يعترفون صراحة أن النصيب الأكبر من المسؤولية واقع على أمريكا، وأن جريمة صدام أنه وقع في الفخ الذي نصبته أمريكا. فهذه أعظم جرائمه، وهو مسؤول أيضاً من هذا الوجه.

أمريكا المسؤولة الأولى

أما عن سلوك أمريكا فأقرأ على مسامعكم تصريح جيمز أكينز (James Akins)، السفير السابق للولايات المتحدة لدى العراق. كتب يقول: "أوقعت الولايات المتحدة صدام حسين في غزو الكويت بتعليماتها إلى السفيرة الحالية أبريل جلاسي April Glaspie، كي تشجعه وتؤكد له أن هذه المسألة من الشؤون الداخلية للعراق ولن تتدخل فيها." (Canadian Ecumenical, Jan & Feb 1991 p. 3)

وقال الجنرال ميكل دوجان (Mickael Dugan) رئيس الأركان لسلاح الطيران الأمريكي، والذي أقيّل من منصبه بسبب بيانه هذا أمام الصحفيين: إن أمريكا تهدف إلى قطع رقاب صدام وأسرته وأعوانه لتنتهي المشكلة من الأساس. وقواتنا الجوية مستعدة لتنفيذ هذه الخطة التي اقترحتها إسرائيل.

(Aviation Week & Space Technology, Sep. 24, 1990 USA. & Times, Oct. 1 1991 USA)

هذا التصريح له وزنه، فهو من رجل يشغل منصباً رفيعاً كرئيس الأركان. فهو ليس تصريحاً لمعلق عادي. الواقع أنه كانت هناك مؤامرة لترتيب هجوم لاغتيال الرئيس صدام وأسرته وكبار ضباطه، وبهذه الطريقة أرادوا تسوية المشكلة!

وأبدت أمريكا إزاء هذا التصريح رد فعل عنيف، ولكن لا حجة لها في إنكاره. فمن الحقائق الثابتة أنهم رتبوا هجوماً سابقاً مماثلاً ضد الرئيس الليبي معمر القذافي، وتعلم الدنيا كلها ذلك. القانون الأمريكي لا يسمح للرئيس

بترتيب اغتيال أحد في دولة أجنبية، ولكنهم لا يزالون يقومون بعمليات اغتيال تحت اسم "العمليات السرية". وعندما تُفضح هذه العمليات الخفية تصبح جريمة كبرى. فأمريكا تتحمل مسؤوليتها الكبرى بكل يقين.

لعبة أمريكا

ثم هي عملية باسم الأمم المتحدة، في حين أنهم في الواقع قد اشتروا كثيراً من البلاد، وضغطوا على بلاد أخرى كثيرة، ودفعوا كثيراً من الرشاوي الآجلة. وكل هذا لعبة أمريكية. وبهذا الصدد لم يزل الرئيس صدام يقول: إن استخدام اسم الأمم المتحدة لتبرير هذه العملية سخرية واستهزاء بالأمم المتحدة. وعندما زار سكرتير الأمم المتحدة أخيراً صدام حسين للتباحث معه، أخبره أن العملية كلها خداع للعالم. إنها عملية أمريكية، ومن الخطأ القول بأنها من الأمم المتحدة. فأقر ديكولار أنه شخصياً يوافق على رأيه مائة بالمائة، وهذا ما حدث تماماً؛ ولكنه من الناحية الرسمية ليس في موقف يسمح له بإعلان ذلك. وحاولت أمريكا إخفاء هذه الملاحظات عندما عاد السكرتير العام وقدم تقريره عن مهمته متضمناً بعض أمور مشاهمة. ولكن الرئيس صدام حسين أذاعها، ونشرتها أيضاً الصحف البريطانية التي اطّلت عليها. (Guardian 12.2.1991)

فالمسؤولية الأولى تقع على كاهل أمريكا.. بالرغم من أن الرئيس صدام قد استُغل. وفيما يتعلق بمسؤولية الرئيس صدام فثمة أمور نستطيع بناء عليها القول بأنه عديم الحيلة. ولكن مسؤولية الحلفاء واضحة، وهم فعلوا كل تلك المظالم لمصالح شخصية. فكل طرف من الحلفاء له أغراض ومصالح خاصة.

الخطة من وضع إسرائيل

وإسرائيل مسؤولة لأن الخطة كلها من وضعها كما سبقت الإشارة إلى ذلك. فليس هناك مكيدة لإسرائيل أعظم من تدبير القضاء على قوة إسلامية ناهضة يمكن أن تمثل تهديداً حقيقياً لها في الحرب. وتتم الخطة بأن تتحمل البلاد الإسلامية أو بعض الحلفاء الآخرين نفقات الحرب، ويكون القائمون بها من الأمريكان والبريطان والعرب؛ ويكون الغنم لإسرائيل، كما تجد هي فرصة لاحتلال مزيد من الأرض، وتكتسب تسعة بلايين من الدولارات، ويبقى لها بعد تدمير العراق كلية - لا سمح الله - الحق في الثأر من البلد الذي يعاني من سكرات الموت! فالميزة العظمى من هذه الجريمة كانت لإسرائيل، وعليها معظم هذه المسؤولية.

الأمم المتحدة مسؤولة

والأمم المتحدة أيضاً مسؤولة. عندما بدأ "البيع والشراء" في مجلس الشعب الباكستاني قيل إنهم يتاجرون في الخيل. كانت فعلاً تجارة خيل، ولكن من أين تعلموا هذا التعبير للدلالة على شراء أعضاء المجلس لأغراض سياسية؟ كيف بدأ وكيف فكروا فيه؟ لقد علمنا الآن أن هذا المفهوم جاءهم من أمريكا.. لأنهم هنالك فتحوا سوقاً لتجارة الخيل داخل الأمم المتحدة لشراء الأصوات. وإذا كانت الأمم المتحدة قد صارت فعلاً سوقاً تستطيع الأمم الغنية الشراء فيه بشروطهم فهي - أعني الأمم المتحدة - لا ترتكب بذلك أبشع جريمة فحسب، وإنما ترتكب انتحاراً أيضاً، لأن الثقة في هذه المنظمة ضاعت إلى الأبد.

بريطانيا مسؤولة

إلى جانب ذلك هنا خلفية تاريخية ينبغي أن تضعوها في الاعتبار. ولا داعي هنا للدخول مرة ثانية في تفاصيل مسلك الحكومة البريطانية ومؤامرة اليهود التي دُبرت لإنشاء إسرائيل. ولقد صاغ الدكتور تيودور هرتسل (Dr. Theodor Herzl) هذه الخطة عام ١٨٩٧، وعيّن تحت مظلتها كثيراً من علماء اليهود ومفكريهم للتغلغل داخل القوى الغربية. ومن بين هؤلاء الكيميائي وايزمان (Weizmann)، الذي كان خبيراً كبيراً في الكيمياء ومن مواطني بولندا، وتعلّم في ألمانيا، وجاء إلى بريطانيا، وأنشأ علاقات مع ذوي النفوذ. وكان أشد تأثيراً في اللورد بلفور (Lord Balfour)، الذي كان وزير الخارجية البريطانية في حكومة لويد جورج من عام ١٩١٥ حتى ١٩١٨. وإن أكبر جهد لإنشاء إسرائيل قام به بلفور، ولذلك تتحمل بريطانيا رسمياً مسؤولية النزاع الحالي، لأن الموضوع برمته غير شرعي ولا حق له في الوجود. فتوجههم إلى بلد، ثم فرضهم على أهله قوماً ضد رغبتهم، وضد شروط الانتداب، وضد اتفاقياتهم أنفسهم، هو ظلم ما بعده ظلم، ولا مبرر له على الإطلاق. لقد لعبت بريطانيا أكبر الأدوار في هذا الظلم، ومن ثم فهي شريكة دائمة في المسؤولية.

أصوات أيدت الحق

ولكن دعوني أخبركم بأن الأمة البريطانية في مجموعها لم تكن متورطة في هذا التصرف عند بدايته. وتدل دراسة الصراع الذي دار بين عامي ١٩١٧ و ١٩٢٠ في بريطانيا على أن المسلمين أبدوا كثيراً من الجهل أيضاً. ففي الوقت الذي كان اليهود ينشرون فيه فتاخ مؤامرتهم في جميع الاتجاهات ويؤثرون على أصحاب النفوذ.. ظل المسلمون مهملين ذلك تماماً. قام اللورد كيرزن (Lord Curzon) - خليفة "بلفور" في وزارة الخارجية، والذي ناصر المسلمين كثيراً - بكشف أشد الأمور غرابة بحيث يتعذر فهمه. يقول: كان اليهود مشتغلين بنشر مؤامراتهم، باذلين أقصى جهودهم، وكان العرب يبدون المتفرج الذي يختلس النظر في فرجة ضيقة، وليس مسموحاً له بالدخول؛ أو لعلهم لم يكونوا يدرون بما يجري حولهم.

على كل حال فالقول بأن الأمة البريطانية كلها كانت مشاركة في هذه المؤامرة غير صحيح. لقد خالف اللورد كيرزن مشروع وطن اليهود بشدة، وفهم الهدف والغرض من إنشاء دولة إسرائيل، وكتب: "إنهم ضغطوا علي مراراً كي أقبل بالصلة التاريخية بين إسرائيل وأرض فلسطين، ولكنني أعرف أنها مؤامرة عميقة شديدة الخطورة وذات آثار بعيدة المدى. وإذا ما قبلنا بها فلن يكون لدينا عذر لكبح جماح اليهود والسيطرة عليهم. سوف يكررون كل تاريخهم القديم، ويقولون لقد فعلنا كذا وكذا في موقع كذا وكذا.. فاليوم لنا الحق في كذا وكذا!!"

(The Origins & Evolution of The Palestine Problem 1917 1989 P. 21-28
Published by U.N.O. 1990)

كان الرجل صلباً على طول الخط، وبذل كل جهد بوسعه ضد المؤامرة، ولكن نتيجة لخططهم السرية ظلت وزارة لويد جورج تحت دائرة النفوذ اليهودي. وفي النهاية تركوا الأمر يمرّ في البرلمان، وأقرّوا إقامة دولة لليهود في فلسطين على أساس الصلة التاريخية. والعبارة الأولى التي اعترض عليها اللورد كيرزن بشدة، فإنهم غيروها بدهاء

إلى "صلة تاريخية". ولكن عندما تطلعون على صيغة القرار، ولا أستطيع قراءتها الآن، ستندهشون، لأنهم استخدموا أسلوباً أشد ما يكون مكرراً بحيث يُحقق كل أغراض اليهود.

تنازلات للصهاينة

وعندما عرضوا القرار أمام مجلس اللوردات قاموا باستخدام العدل الكامل، يجب أن نعترف بذلك، بل حذروا أمتهم من اتخاذ مثل هذه الخطوة لأنها ظلم فادح شديد الخطورة، سيؤدي إلى أضرار بعيدة المدى، ولا يمكن التكهن متى تتوقف نتائجه الضارة. وهكذا رفض مجلس اللوردات المشروع. ولكنهم بعد ذلك عرضوا المشروع على مجلس العموم مرة أخرى، فوافقوا عليه.

كان اللورد سيدنهام (Lord Sydenham) عضو مجلس اللوردات يردّ على بلفور قائلاً: "ربما لا يمكن علاج الضرر الذي وقع نتيجة إلقاء سكان الغرباء على قطر عربي، والعرب يحيطونه بما وراء الساحل. ولم يكن ما فعلناه حقاً ممنوحاً للشعب اليهودي، وإنما هي تنازلات لقطاع من الصهاينة المتطرفين، كي يشرعوا في تكوين قرحة مؤلمة لا يدري أحد إلى أي مدى ستمتد هذه القرحة." (المرجع السابق ص ٢٩)

وإذن فكان هناك عدل في الأمة البريطانية، ولا يزال هناك إلى اليوم. فمثلاً تعبّر فئة من كبار المفكرين بشجاعة عن آرائها الأمانة، ولكن، كما قلت، فإن المؤامرة عميقة، تمتد بعيداً بحيث أوقعتهم في قبضة اليهود.

حق تقرير المصير

واليوم يقع اللوم على أمريكا، ومع ذلك كان هناك إنصاف في أمريكا. فمثلاً إن المبادئ التي وضعها الرئيس ودررو ولسن (W. Wilson) عام ١٩١٨ تتضمن تمسك أمريكا بتلك المبادئ واحترامها بحيث لا تدعها تتبدل. كما تقرر بأنه في أي منطقة في العالم للأغلبية الحق الأول في اتخاذ القرار الذي يتعلق بمصيرها، وهو المعروف بحق تقرير المصير. فإذا لم تقبل الأغلبية شيئاً فلا يحق لأحد في الدنيا فرض قرار عليها. هكذا كان موقف أمريكا آنذاك. كانوا أرسلوا إلى فلسطين عام ١٩١٩ لجنة عُرفت باسم لجنة King Crane قدّمت تقريراً عادلاً ومفصلاً. جاء في هذا التقرير: "نؤكد لكم أنه لا يمكنكم إقامة دولة إسرائيل هنا بدون استخدام قوة كبيرة، وبدون سفك دماء غزيرة. فما الداعي إلى فعل ذلك بحجة أن هؤلاء الناس عاشوا هنالك منذ ٢٠٠٠ سنة؟ إذا قبل هذا المنطق لانحى العقل والعدل من على وجه الأرض! إنه منطق سخيف، ولا ينبغي أخذه في الاعتبار." ما أشدّ الفارق بين ذلك الوقت وبين يومنا هذا! النسل الأمريكي كله لعبة في كف اليهود كالدمية، ولم يعد هناك عدل، ولا إدراك ولا مبادئ أخلاقية، ولا شيء.

وعيب المسلمين أنه كان من واجبهم تقدير الموقف بذكاء. عندما كان اليهود يعملون على زيادة تأثيرهم في تلك المواقف كان ينبغي على المسلمين استخدام نفوذهم وتغلغلهم. ولكن يبدو أنهم بسبب تنكرهم لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.. لم تعد لهم قيادة تفكر في مشاكل الأمة الإسلامية كلها، وتمضي بهم قدماً، جسداً واحداً، له عقل واحد وقلب واحد.

اعتراف ناقص

ولا يزالون في بريطانيا على نفس القدر من الصراحة. ففيما يتعلق بأسباب هذه الحرب، وما هي أهدافهم، ولماذا يقاتلون، كتبت مجلة "سوشاليست ستاندرد" (Socialist Standard): "قبلت جريدة سندي تايمز (Sunday Times) بأن أغراضهم أنانية، فقالت: "أما السبب فليس تحرير الكويت.. وإن كان ذلك مرغوباً.. وليس الغرض حماية السعودية.. وإن كان هذا هاماً أيضاً؛ وإنما الهدف هو القضاء على صدام الذي صار خطراً على المصالح الغربية الحيوية في الخليج، وخاصة التدفق الحر للنفط بأسعار السوق، وهو أمر جوهري لرخاء الغرب." (London, Nov.1990)

ولكن هذا ليس في الواقع اعترافاً كاملاً، لأن الهدف الأعظم هو حماية إسرائيل إلى الأبد من أي خطر عراقي، وإزالة هذا التهديد عن إسرائيل حتى لا يستطيع أي بلد مسلم تحديها. وهذا الهدف وثيق الصلة بالبتروول، لأن من أسباب إنشاء إسرائيل إقامة حارس على البلاد الإسلامية.. قادر على تعنيفهم عند اللزوم. عندما لا ترسخ البلاد الإسلامية لمطالبهم ينبغي أن يكون هناك ممثل لهم يلقنها الدرس المطلوب."

تكلفة الحرب

تعالوا معي الآن أخبركم عن تكلفة الحرب. لقد أنفقوا إلى الآن ٨٩.٥ بليون دولار على الحرب، منها ٣٠ بليوناً بمعدل بليون كل يوم من أيام الحرب، وقد مضى عليها شهر. ويقال إن أمريكا قد أنفقت ٩ بلايين وبريطانيا بليونين قبل أن تبدأ الحرب. وليس هناك أرقام مؤكدة للنفقات الحربية البريطانية لكل يوم، وهذا مبلغ إضافي. وبجانب ذلك هناك ما أنفقوه لشراء الحكومات الأخرى. فقد أسقطوا ٢١ بليوناً من ديون مصر، ومن ذلك تستطيعون تقدير الثمن الذي قبلت به مصر لتبيع مصالح الأمة الإسلامية. ودفعوا حتى الآن ١٣ بليوناً لإسرائيل كمكافأة وتقدير لضبط النفس العظيم الذي أبدته بعد إصابة عدة عدد قليل من اليهود بصواريخ سكود العراقية. قال الإسرائيليون: بعد تدمير العراق وتمزيقه إرباً سيأتي يوم الانتقام الإسرائيلي. بما تقرُّ به قلوبنا. وتقول أمريكا: هذا ضبط نفس عجيب، سندفع من أجله ١٣ بليوناً من الدولارات، بالإضافة إلى أشياء أخرى من أسلحة وغيرها.. وذلك على سبيل الهدية.

وفيما يتعلق بروسيا.. كشفت جريدة "العرب" التي تصدر في بريطانيا أن السعودية دفعت للاتحاد السوفييتي ٣ بلايين، كما دفعت الكويت بليوناً. وهناك أيضاً بعض النفقات المتنوعة لتركيا وسوريا، مع وعود لما بعد الحرب لا ندري عنها.

بالإضافة إلى النفقات.. هناك الخراب الرهيب الذي وقع. كان تقدير المراقبين قبل بضعة أيام أن الدمار في الممتلكات تتطلب ٥٠ بليون دولار لمجرد بناء الكويت. وعشرة أضعاف هذا المبلغ لبناء العراق، أي ٥٠٠ بليون. وما عانتها بلاد العالم الثالث من أضرار اقتصادية تبلغ اليوم ٢٠٠ بليون. ويقول المعلقون إن هذه الأضرار ستزيد ولا يمكن أن تنقص. فهذا الإنفاق الباهظ هو فوق ما يُنفق على الحرب والرشاوي. وفوق كل ذلك ما فقد من أرواح.

ثم هناك أضرار البيئة من تلوث في الجو وتلوث في البحر. فعندما حدث تلوث في الخليج اعترف جنرال أمريكي بزهو وفخر أنهم نجحوا في ضرب حقول البترول بالكويت، وأن البترول يتدفق منها. ولكنهم في اليوم التالي بدّلوا القصة بأكملها وألقوا باللائمة على العراق وقالوا: إنها بلد أئيم.. لم يرحموا من قسوتهم حتى الطيور. كان هناك بعض طيور مغموسة في النفط واطبوا على عرضها مرات ومرات، ليكشفوا بذلك قسوة صدام حسين، وكيف لم ينج من قسوته وشروبه حتى الطيور الصغار.

قسوة وخداع الدجال

ومقارنة بهذا الضرر الذي يُثبتون به للعالم تعاطفهم مع الإنسان وكل أنواع الحياة، فإن مسلكهم الذي أبدوه بالنسبة لمعاناة العالم أود أن يكون واضحاً لكم، لأنه كله خداع. لقد جمع سيدنا محمد المصطفى ﷺ تاريخ كل هذه الحقة الحاضرة وبيّن تفاصيلها الكاملة في كلمة واحدة: "الدجال". إن عملهم ليس سوى خداع مدهش رهيب. تقاسي أفريقيا من المجاعة منذ سنوات، والملايين من الناس.. رجالاً ونساءً وأطفالاً.. يتحولون إلى هياكل عظمية تموت بعد معاناة شديدة، ولا يلتفت أحد إليهم. لقد سمعتم منذ لحظة تقديرات نفقات الحرب: يتطلب إصلاح الخراب ٥٥٠ بليوناً من الدولارات، وقد أنفقوا ١٠٠ بليون تقريباً حتى، وهناك ٢٠٠ بليون خسائر العالم الثالث، فهي وجبة تتكلف ١٠٠٠ بليون دولار. وعلى الجانب الآخر، وطبقاً لتقديرات الأمم المتحدة، هناك ٢٥ مليوناً من الأفارقة يموتون جوعاً. وإذا كفى دولاران لإطعام رجل واحد في أفريقيا باليوم، فإنك تحتاج إلى بليون ونصف بليون دولار أو أكثر قليلاً لإنقاذ ٢٥ مليوناً من الموت جوعاً طوال العام. يمكنكم الآن معرفة حقيقة هؤلاء القوم الذين لا يلقون نظرة رحمة على ٢٥ مليوناً من الناس في أفريقيا، ويصبون الموت على رؤوس ١٦ مليوناً من البشر في العراق.. بإنفاق جبال من الثروات. تصوّروا أن ما عندهم من تعاطف فهو لبضعة طيور! يخلقون كل هذا الضجيج من أجل موت بضعة طيور!! إن هذا إلا خداع وخبث. كان ينبغي عليهم أن يحترموا حياة البشر أولاً. كان ينبغي عليهم أن يهتموا بالفقراء المتضورين جوعاً في أفريقيا وغيرهم من الشعوب. كان ينبغي عليهم محاولة القضاء على عدم التوازن الاقتصادي. يستطيعون إطعام خمسة وعشرين مليوناً من الناس عاماً كاملاً ببليون ونصف دولار، وبذلك يمكنكم إدراك معنى بليون من الدولارات. ينفقون بليون دولار كل يوم ليصبوا الهلاك، ولكنهم لا يستطيعون إنفاق بليون لحفظ حياة ٢٥ مليوناً من البشر تسعة شهور!!

قلب الموازين

يذكرني هذا بالحادث التي رواها ونستون تشرشل قال: كان مستر لويد جورج ساخطاً على سير إدوارد جراي (Sir Edward Grey)، فاعتذرت عنه قائلاً لمستر لويد جورج الذي كان محتدّاً: حسناً، نعرف على أية حال أن الألمان لو كانوا هنا وقالوا لجراي: إذا لم توقع هذه المعاهدة فسوف نرميك في النار فوراً، فمن المؤكد أن رده سيكون: لا يليق أبداً بوزير بريطاني أن يرضخ للتهديد. لن يحدث هذا. ولكن جورج لويد أجاب: لن يقول له الألمان هذا لو كانوا أذكاء. إنهم سيقولون: إن لم توقع هذه المعاهدة فسنخنق جميع سناجيبك. وعندئذ سوف ينهار ويوقع!

أي أنهم إذا هددوه بقتل بضعة سناجيب يرببها كحيوانات مدللة ووقع المعاهدة على الفور. ومعنى ذلك أن إحساسهم بالتوازن قد فسد، وأصابه التلف منذ زمن طويل. إنهم يهينون البشر من أجل الكلاب، ولا يستطيعون تضحية اهتماماتهم الأنانية من أجل إخوتهم من البشر. ومن ثم فهم مسؤولون مثل غيرهم، وإذا لم يحاسبوا على جرائمهم اليوم فسوف يقدمون عنها الحساب غداً.

عقدة فيتنام

ذكرت لكم ما وقع من أضرار ومعاناة، ولكن لا يزال هناك مزيد من الأضرار، كما أن هناك بعض المزايا أيضاً. ذكر بعض المعلقين المطلعين أن من أسباب دخول أمريكا في الحرب عقدة فيتنام التي أرهقت الرئيس بوش وأمريكا. لقد وقعت أحداث مشابهاة في فيتنام، فقد أمطروا عليهم القنابل بشدة لم تحدث من قبل قط. دمروا القرى كلها، وأهلكوا كثيراً من أنواع الحياة، وأضروا باقتصاد فيتنام بما يندر أن يرى المرء مثل هذه الفظائع ترتكب من جانب واحد ضد بلد آخر. ومع ذلك فشلت أمريكا في تحطيم عظمة الشخصية في هذه الأمة. لم يتمكنوا من إجبار شعب فيتنام على إحناء الرأس أمامهم. واستمرت هذه الأمة تقاتل وتضحى بالأرواح، ولم ترع أبداً أمام سيادة أمريكا. وفي النهاية تحطمت عزيمة أمريكا، وتبعثرت خيلاؤها، واضطرت إلى التراجع والانسحاب من فيتنام بغير أن تحقق غرضها.

يسيء كثير من الناس الفهم عندما يسمعون حكاية فيتنام، ويحسبون أن الرأي العام في أمريكا وتعاطفهم الإنساني هو السبب في تراجع أمريكان من فيتنام.. إذ قالوا كفي ما دمرنا من الحياة، ويجب ألا يتكرر مرة أخرى. كلا، هذا ليس بصحيح قطعاً. ما كان الرأي العام الأمريكي ليتألم حتى لو هلك عشرة ملايين من الفيتناميين. ما كان الرأي العام الأمريكي ليعاني بقدر ما عانى لهلاك بضعة طيور بحرية. ولكن ضياع الأرواح الأمريكية وتحدي الصلف الأمريكي هو الذي كان جحيماً روحياً ما كان باستطاعتهم تحمله.

كانت تلك الخلفية السيكولوجية من بين أسباب هذه الحرب أيضاً. يرى الأمريكان كبرياءهم المهشمة، وتدمى جراحهم إلى اليوم، فيحسّون الحرق في قلوبهم، ويريدون الانتقام من فيتنام في شخص العراق، ويقولون في أنفسهم: سوف نحطم عزيمتهم، ونشعر بالراحة والرضا.

ولكن بفضل الله تعالى مضى شهر كامل ولم يتمكنوا بعد من تحطيم عزمهم، وظهر بطلان أغراضهم الشريرة، وأقوالهم المتعجرفة. أذكر أن الرئيس بوش أو أحد زملائه قال: لماذا نتحدثون عن فيتنام، لن نسمح أن تكون هناك فيتنام أخرى. لن تكون سنوات، بل ستكون أياماً. وبعد ذلك سمعنا الرئيس بوش يقول: لن تكون أياماً بل شهوراً. ويثبت هذا القول أن كلماته السابقة كذب. إنهم يخشون من الثأر عند هذا المنعطف، لأنه - لا سمح الله - لو هلك كل الشعب العراقي ما تأثر الرأي العام الأمريكي. ولكن إذا وصلت ألف جثة أمريكية فإنهم سوف يضطربون ويرتعشون بشدة. هذا هو السبب في أنهم يجرون محاولات للسلام.

يجب أن ندعو الله تعالى دائماً ألا يسمح للآلة الباطلة أن تفرض نفسها على عباده. إن أشد آلام الدنيا ما يصيب توحيد الله من جراح. إذا تُركت الآلهة الباطلة تمارس تألهها فمن أين يأتي عباد الله الإله الواحد الأحد، وأين يعيشون؟ إنهم لا يستطيعون العيش بعد ذلك في هذه الدنيا. فأعظم الأخطار هو على توحيد الله تعالى، وعلى بيت الله تعالى، وعلى شرف بيت الله تعالى. إنه الخطر على سمعة توحيد رب المصطفى ﷺ. الحق أنه لن يكون الخطر إن شاء الله على التوحيد، ولكن استشارة لتأييد الله تعالى يجب أن نرفع أكف الابتهاال والضراعة كما ابتهل النبي ﷺ يوم بدر، مشيراً إلى تلك الحفنة القلية من صحابته الأوفياء.. المحبين لله وللرسول وقال: "اللهم إن تُهلك هذه العصاة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض" (مسلم، كتاب الجهاد). فالمسألة اليوم هي شرف التوحيد وعلو أمره. ويقف المسلمون الأحمديون جبهةً باسلة في هذا المجال. وأقول لكم بإيمان راسخ: إن المسلمين الأحمديين اليوم.. في مشارق الأرض ومغاربها.. كأعضاء الجسد الواحد.. مستعدون للتضحية بكل شيء في سبيل توحيد الله، ومستعدون غداً، ومستعدون دائماً، إن شاء الله تعالى.

قد تذكرون أن سيدنا الخليفة الثالث لسيدنا الإمام المهدي ﷺ كان يقول: "إن القرن القادم هو قرن غلبة التوحيد وتمكنه." وهذا صحيح تماماً. فكل المخاطر التي يتعرض لها توحيد الله اليوم إنما تشبّ كي تُعدنا وتُخبرنا: لقد أقامكم الله تعالى لأداء هذه المسؤوليات العظام.

وأهداف هذه الحرب وما تحتها من أسباب نفسية، كل هذه وثيقة الصلة أيضاً بالتاريخ. ولما كنت أريد إهداء هذا الموضوع في خطبتي القادمة إن شاء الله تعالى، لذلك سأطيل خطبة اليوم قليلاً حتى لا يمتد الموضوع إلى خطبة إضافية.

عداء الإسلام هو السبب

لهذه الحرب أو لإنشاء إسرائيل خلفية تاريخية تتصل بكل حروب المسلمين والنصارى. تذكرون أن الغارات الصليبية بدأت حوالي عام ١٠٩٥، واسترد صلاح الدين فلسطين عام ١١٩٠ أو ١١٩١، فلم يتمكنوا بعدها من الاستيلاء على فلسطين. واستمرت هذه الحروب لمدة ٢٠٠ عام. لم يكن المسلمون أبداً البادئين لهذه الحروب، ولكن تضافرت البلاد الأوربية في الغارات على العرب المسلمين ثماني مرات. كان ينجحون أحياناً، وينهزمون أحياناً أخرى. وفي النهاية استطاع المسلمون إنقاذ فلسطين من براثنهم. لم يزل هذا الجرح من جراحهم دامياً حتى اليوم، ولم ينسوه أبداً. يشعرون بألم عميق كيف أن القوى الأوربية العظمى تتحد في هجومها مرة بعد أخرى، ويشترك في هذه الغارات ريتشارد قلب الأسد (Richard The Lion Hearted)، وغيره من ملوك وطغاة فرنسا وألمانيا وبلجيكا.. ثم يخرجون فاشلين لم ينالوا خيراً! هذا الجرح لا يزال يؤلمهم.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى طالما لُقوا الهزائم المتكررة على يد الإمبراطورية العثمانية التي حكمت شطراً كبيراً من أوروبا. هذا جرح ثان سبب لهم الألم، ولن يبرح يؤلمهم. هذا ملخص ما جعل الأوربيين يعتقدون أن الإسلام خطر عليهم، فبسبب الحروب الصليبية الطويلة وسيادة الإمبراطورية العثمانية وعلى الخصوص في زمن السلطان سليمان العظيم، وما تعرضت له القوى الأوربية من هزائم متكررة.. كل ذلك أقر في خلفيتهم

النفسية أن المسلمين قمعوا كل اعتداءاتنا بقوة - وهم بالطبع لا يقولون عدواننا وإن كان في الواقع عدوانا - فيجب ألا نعطيهم مثل هذه الفرصة أبداً في المستقبل فيحموا مصالحهم منا.

مظالم الغرب على اليهود

وهناك خلفية أخرى مثيرة للاهتمام ومؤلمة للغاية أيضاً. عندما شرع الصهيوني تيودور هرتسل لأول مرة في عرض مخططه لإنشاء دولة إسرائيل.. برر ذلك قائلاً: نحن نُضطهد منذ آلاف السنين، وتعرضنا للاضطهاد في أوروبا على وجه الخصوص. وحدث في فرنسا أن اتُّهم يهودي في قضية باطلة، ربما كان اسمه روفوس، فسافر هرتزل من النمسا إلى فرنسا، وكان متأثراً للغاية بسبب ما تعرض له اليهودي من ظلم حتى بدأ هذه الحركة. فبرر مطلبه بإنشاء دولة إسرائيل بأننا نُضطهد في أوروبا! وفي ذلك الوقت لم يفكر أحد بأن الاضطهاد يقع في مكان، ولكنهم يثارون له من أهل بلد آخر! فأين المنطق في هذا؟ بدخولهم فلسطين كيف يتوقف اضطهادهم في أوروبا؟

إن اضطهاد البلاد المسيحية الغربية لليهود حقيقة واقعة. فقد أنزلوا بهم الفظائع المرعبة الرهيبة. واليهود محقون تماماً في أن أمتهم كانت هدفاً للمظالم والعدوان المتكرر لألف عام.. بما لم تتعرض له أمة أخرى من أمم العالم. وسأضع أمامكم بعض ما يتعلق بهذا.

بدأت الحملات الصليبية عام ١٠٩٥ من فرنسا، وكان أول من حركها أمير فرنسي (God Frey of Bouillon)، وانضم إليه ملوك فرنسا، ونظموا الحملة الأولى. فقال: في سبيل هذا الغرض النبيل يجب أن نقدم قرباناً. وكان خير قربان في هذه المناسبة، في نظر أمير بويون، أن ينتقموا للمسيح عيسى، ويقتلوا كل اليهود. وكما هي عادة المسلمين وقت الشدائد أو المهمات العظيمة من تقديم قربان أو أضحية.. كذلك فعل هؤلاء الصليبيون وقاموا بمذبحة واسعة النطاق ضد اليهود في أرجاء فرنسا. ويندر أن ينطلق الطغيان بمثل هذا الحد ضد أمة بلا حيلة. بعد ذلك صار من تقاليدهم على مدى ٢٠٠ عام أن يذبحوا اليهود قبل خروجهم لحملة صليبية. وهكذا ترون فظائعهم بينة واضحة.

وَتُقَدَّم القرايين أيضاً لطردهم الشرور، وفي هذا السبيل أيضاً كانوا يذبحون اليهود. لعلكم سمعتم "بالموت الأسود" الذي انتشر في أوروبا ما بين ١٣٤٧ و ١٣٥٢. وكان وباء من الطاعون الرهيب جاءهم من الصين، وانتشر بالتدريج من شرق أوروبا حتى وصل إلى هنا في بريطانيا. وخلال هذه المحنة أخذوا يضحون باليهود كي يتخلصوا من الشر، ولفقوا عنهم كثيراً من الحكايات الباطلة تزعم أن كل ما نزل بهم كان بسبب شؤم اليهود، وأنه استرضاء للرب وطردهم للشر لا بد من القضاء على نذير شؤم اليهود. ولسوف تعتریکم الدهشة لو عرفتم كيف أن أعداداً من اليهود لا حصر لها قُتلوا وأُحرقوا أحياء في بيوتهم. والتقديرية التقريبيية تقول بإفناء اليهود من ٦٠ مدينة كبيرة، ومن ١٤٠ بلدة صغيرة. وهذا هو الانتقام النصراني الثاني ضد اليهود.

أما الانتقام الثالث الكبير، من بين انتقامات أخرى عديدة، فهو الذي قام به النازي في ألمانيا. ومع أن الخبراء لا يتفقون على الأرقام، فإن اليهود يصرون على أن ٦ ملايين يهودي فقدوا حياتهم داخل غرف الغاز، وقاسوا

غير ذلك من الفظائع. ووقع كل هذا خلال ١٠ سنوات. فقد حدثت إذن مظالم وشناعات رهيبة مفزعة تقتضي المطالبة بوطن قومي لليهود. كان هذا منطقتهم.

وفي تلك الآونة كان اليهود يفرّون من التعذيب والاضطهاد في أوروبا ليجدوا الملاذ في ظل المسلمين بفلسطين. التاريخ يؤكد ذلك. كما يؤكد التاريخ أيضاً أن المسلمين في عصور سلطاتهم لم يرتكبوا مثل تلك الفظائع ضد اليهود. لقد فتح المسلمون فلسطين مرتين.. أعطوا فيهما الحماية الكاملة للأرواح والممتلكات، ولم يُصَبَّ يهودي أو نصراني بأي ضرر. كان الفتح الأول في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والثاني عندما فتح السلطان صلاح الدين الأيوبي فلسطين. يقول الباحثون العلماء أنه باستثناء هاتين المرتين.. لم تحدث ولا مرة واحدة أن غزا جيش فلسطين ولم تقع مجازر واسعة. فمثلاً عندما غزا الملك ريتشارد قلب الأسد جزءاً من فلسطين ذبح كل اليهود والمسلمين رجالاً ونساءً وأطفالاً، ولم ينج منهم أحد.

هذا هو تاريخ تلك الأمم، وهذه هي عدالتهم ومساواتهم ورحمتهم وقيمهم الإنسانية. وهذا ما أجبر اليهود وجعل هرتزل يدرك أنهم لا يملكون حماية أنفسهم، لذلك لا بد من إنشاء دولة لهم.

أقول: إذا لم تكن لهم حماية في أوروبا كان ينبغي عليهم الفرار منها. ولكن أي نوع من العلاج هذا الذي اختاروه، حيث أبقوا أوروبا كلها تحت سلطاتهم، بل ومدّوا سلطاتهم فيها، وبالإضافة إلى ذلك توجهوا للعيش في وسط المسلمين؟ إنه ليس علاجاً إذن، ولكنه يشبه حال من رفسه الحمار فقطع رجل الجمل! إنه ظلم عظيم أن يضربك أحد فتعاقب الآخر. ليس في ذلك منطق سليم أبداً.

"عصفورين بحجر واحد"

أشعر أن القوى النصرانية أيضاً لديها خلفية سيكولوجية، وينبغي التفكير في سبب كل هذه الاعتداءات المتكررة ضد اليهود. يبدو أن موقف اليهود التاريخي من "أن العين بالعين" حتم عليهم الثأر من تلك الاعتداءات، وكان هناك سلسلة تاريخية من الأحداث، يأخذ فيها اليهود ثأرهم سرّاً شأن الضعفاء. إذ لا يمكن أن يستمروا في تجاهل تاريخهم على مدى ألفين من السنين، ويتخلّوا عن مزاجهم وفطرتهم الأساسية. ذلك مستحيل. التاريخ لا يحفظ لنا ما كانوا يفعلون، وكل ما نعرفه أنهم كانوا دائماً موضع اتهام ببعض الجرائم، وكانوا يعاقبون. فالفظائع التي ارتكبت في حقهم يذكرها الغرب جيداً ويعرف طبيعتهم. وتكشف شخصية شيلوك (Sherlock)، في رواية شكشير عن اليهودي التائه، صورةً أدبية لو كعهم بالانتقام. وفي مثل هذا الموقف فكّروا بالتدريج - وربما لم يدُر ذلك في خلدتهم أول الأمر - قالوا: لماذا لا نصرّف خطر اليهود بعيداً عنا ونوجّهه نحو عالم الإسلام؟ إن هذا سيحقق لنا ميزة مزدوجة: نقتل عصفورين بحجر واحد، أو بتعبير آخر: نتخلص من عدوين في وقت واحد.

هناك نكتة سخيفة تعكس هذا المزاج: يحكى أن ثلاثة من الشبان أرادوا الزواج من فتاة واحدة. وكان أحدهم ماكرًا شديد الذكاء، فجلس في هدوء وترك الآخرين يقتتلان. سأله بعضهم: إنك ماهر جدًّا، ولكنك لا تبدي اهتمامًا؟ فأجاب: لا تقلق، إنني أحرضهما على القتال، فإذا قُتل أحدهما كنتُ شاهدًا على الجريمة، فيُنشَق الثاني، وبذلك يخلو لي الميدان.

قد تكون نكتة، ولكنها جريمة رهيبية تنفذ أمام أعيننا. والمؤامرة النهائية هي نفسها، فلا ينفكّون يستخدمون اليهود في الثأر من المسلمين وقهرهم إلى الأبد حتى يُفرغوا نار غضبهم على المسلمين بدلاً منهم. ولكن هذا من حماقة الغرب.. كما سأبين لكم في الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى. إنهم مخدوعون، وسيُخدعون، وسيعرفون فداحة الأخطاء التي وقعوا فيها عندما يفلت اليهود تماماً من أيديهم.

وفي الخطبة القادمة سأوجه النصح أولاً للقوى الغربية.. كيف يخرجون من هذا المستنقع الذي تورطوا فيه، وماذا عليهم فعله حقاً لإقرار السلام في العالم، وما هي التغييرات التي ينبغي أن يحدثوها بأنفسهم.

وثانياً: سأوجه النصح أيضاً لليهود.. إذا لم يتوقفوا عن نشاطهم هذا فماذا سوف يكون مصيرهم الذي بينه القرآن الكريم. وإذا لم يستفيدوا من هذه النصيحة فلن يكون بوسعهم النجاة من القدر.

وثالثاً: سأوجه النصح للعرب والمسلمين، إن شاء الله تعالى، بصدد الدور الواجب عليهم في هذا العالم المتغير، فلا يكرروا الأخطاء التي وقعوا فيها آنفاً، وكيف يكون برنامجهم للمستقبل.

ورابعاً: سأوجه النصح لسائر أمم العالم: كيف يبدأون في جهاد سلمي حكيم للتحرر من ربقة الأرباب الباطلة. إن المشاعر الجاهلة المثيرة للدافعة للكراهية وعداوة البريطان أو الأمريكان تشبه تصرفات المجانين.. ولا يمكن أن تنجح في هذه الدنيا. إن القيم العليا هي التي سوف تنتصر. إن سنة سيدنا محمد المصطفى ﷺ هي التي سوف تفوز. إنها سنة القيم والأخلاق الرفيعة. ولو أن المسلمين اختبروا هذه السنة فسيكونون مثلاً عظيماً لسائر العالم. وهذه هي السنة التي لا يمكن أن تلقى الهزيمة أبداً. ما من قوة على الأرض تستطيع الغلبة على السنة المحمدية. عليكم إذن أن ترجعوا إلى سنة العدل، وتتبعوا أسوته.. وعندئذ إن شاء الله تعالى، يمكن حل جميع مشاكل العالم، ويمكن تحقق تلك الثورة الحقة الجديدة التي يمكن تسميتها جنة الله على هذه الأرض. وإذا لم يتبعوها.. فلن يبرحوا يتقاتلون ويموتون بنفس الطريقة، ويقاسون المحن، ويرتكبون أعمال العنف.

ونظراً لتأخر الوقت فسأكمل الموضوع في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى. والسلام عليكم ورحمة الله.

١٥ فبراير ١٩٩١